

دراسات محكمة

المراقبة الرقمية في زمن جائحة كورونا بين  
"مجتمع البانوبتيك" ومنطق "الأخ الأكبر"  
يراقبك"

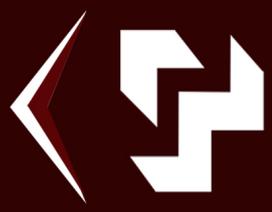
عثمان الزياتي

أستاذ القانون العام بكلية الحقوق، وجدة

All rights  
reserved



جميع الحقوق  
محفوظة

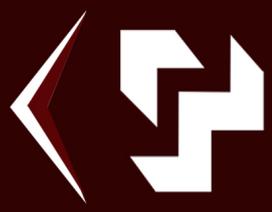


### ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف المشكلات المختلفة المرتبطة بتوظيف المراقبة الرقمية في دول مختلفة، أثناء مكافحة فيروس كورونا، فعلى الرغم من أهمية هذه المراقبة، ظهرت أصوات كثيرة معارضة ومنددة بها، رأت في هذا إحياءً لنموذج مجتمع "البانوبتيك" الذي سبق ان نظر له " جيريمي بينثام". كما رأى العديد من الباحثين والمتتبعين أيضًا في هذه المراقبة الرقمية انبعثًا لفكرة "الأخ الأكبر يراقبك" -جورج أورويل 1984-، والتي كانت موجودة منذ عقود، وهي عبارة شائعة الاستخدام لوصف المراقبة أو انتهاكات الخصوصية. "الأخ الأكبر" هو استعارة مألوفة تستحضر رؤى السيطرة السياسية على المواطنين وخصوصا المعارضين، وتجسيد الحكم الشمولي، وفقدان الحرية الفردية. فقد سبق أن تكهن جورج أورويل (1949) في روايته "1984" عن مجتمع مستقبلي حيث يمكن للتكنولوجيا أن تساعد في حكم الأوليغارشية الحاكمة وقدرتها على السيطرة على مواطنيها.

### Abstract:

This study aims to explore the various problems associated with employing digital surveillance in different countries, during the fight against the Coronavirus, as despite its importance, many opposing and condemning voices emerged that saw in this monitoring a revival of the "panoptic" community model theorized by Jeremy Bentham. Many researchers and scholars have also seen in this digital surveillance a resurgence of the idea of "big brother watching you" -George Orwell 1984-, which has been around for decades, a phrase commonly used to describe surveillance or breaches of privacy. "Big Brother" is a familiar metaphor that evokes visions of political control, political control of opponents, the embodiment of totalitarian rule, and the loss of individual freedom. George Orwell (1949) speculated in his novel "1984" about a future society where technology could help govern Ruling oligarchy and its ability to dominate their citizens



### مقدمة

على الرغم من الأهداف التي تم الإعلان عنها خلال فترة جائحة كورونا، والمتعلقة بتوظيف المراقبة الرقمية في مجموعة من دول العالم، لمحاربة فيروس كورونا، إلا أنه برزت الكثير من الأصوات المعارضة والمنددة التي رأت في هذه المراقبة إحياء لنموذج مجتمع "البانوبتيك" الذي نظر له جيريمي بينثام. ذلك أن النقاش الذي دار حول أخلاقيات وفلسفة المراقبة الرقمية مستمدة كثيراً من "panopticon" لجيريمي بينثام و "panopticism" لميشال فوكو.

يتعلق الأمر ببرج مراقبة فردي، مركزي، مخفي يمكنه رؤية جميع السجناء، دون أن يتمكن السجناء من معرفة ما إذا كانوا تحت المراقبة أم لا، نظراً لأن الوصي الرئيسي مخفي، ومن المستحيل على النزلاء التنبؤ بموعد مراقبتهم أو مراقبتهم من عدمه، علماً أن النظام كان يعتمد على نفسية جماعية للخوف ويتم مراقبته باستمرار.

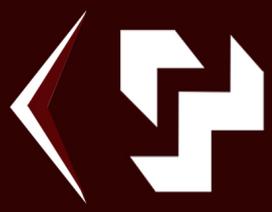
وقد كان لمفهوم panopticon تأثير كبير على أعمال ميشال فوكو حول الاستبداد والمراقبة، إذ يستخدم مصطلح "panopticism" لتعريف "المجتمعات التأديبية" الحديثة حيث القدرة على التجسس والتطفل على حياة الأفراد دون أن تتم رؤيتها ومراقبتها، والتي تخلق آلية السلطة وثقافة السيطرة، بدلاً من الأقفال أو القضبان أو الأوصياء أي المراقبة المعقدة، تعمل القوة التأديبية للعمارة panopticon من خلال التهديد بالمراقبة غير المرئية (بدلاً من المراقبة الواضحة)<sup>1</sup>. وقد رأى الكثير من الباحثين والمتابعين في هذه المراقبة الرقمية أيضاً انبعاث لفكرة "الأخ الأكبر يراقبك big brother watching you" للكاتب جورج أورويل التي كانت موجودة منذ عقود، وهي عبارة شائعة الاستخدام لوصف المراقبة أو انتهاكات الخصوصية. إن "الأخ الأكبر" هو استعارة مألوفة تستحضر رؤى للمراقبة السياسية، والسيطرة السياسية على المعارضين، وتجسيد الحكم الشمولي، وفقدان الحرية الفردية، ذلك أن جورج أورويل (1949) تكهن في روايته "1984" حول مجتمع مستقبلي حيث يمكن للتكنولوجيا أن تساعد في حكم الأوليغارشية الحاكمة وتمكنها من الهيمنة على شعوبها.<sup>2</sup>

ويعرّف ليون Lion المراقبة بأنها "جمع ومعالجة البيانات الشخصية، سواء كانت قابلة للتحديد أم لا، ولأغراض التأثير أو لغرض إدارة أولئك الذين تم جمع بياناتهم"، وإن كان يكفي هذا التعريف كتوصيف عام

<sup>1</sup> -Rosamunde Van Brakel; Understanding resistance to digital surveillance. Towards a multi-disciplinary, multi-actor framework; April 2009; at: [file:///C:/Users/Minfo/Downloads/3282-Article%20Text-5592-2-10-20120130%20\(1\).pdf](file:///C:/Users/Minfo/Downloads/3282-Article%20Text-5592-2-10-20120130%20(1).pdf)

<sup>2</sup> - Daniel J. Power; "Big Brother" can watch us; Journal of Decision Systems, 2016; VOL. 25, NO. S1, at:

<https://www.tandfonline.com/doi/pdf/10.1080/12460125.2016.1187420>



للمراقبة، فأنا في هذه الورقة مهتمون بشكل خاص بالمراقبة الرقمية. إن التغييرات الناتجة عن رقمنة تقنيات المراقبة ليست كمية فقط (من حيث الحجم، التغطية، السرعة، الكثافة، إلخ)، ولكنها أيضاً نوعية، فمع الرقمنة تأتي المعلومات الأكثر قابلية للتخزين والنقل والحساب. وبالإضافة إلى المراقبة الخوارزمية، هناك تغييرات نوعية تخضع لها ممارسات المراقبة من خلال الرقمنة لدرجة أنها تستحق نظرية جديدة للمراقبة<sup>3</sup>.

وعلى قدر مختلف هذه الإشكاليات والوظائف غير المعلنة أو الكامنة التي كانت تفرض نفسها في صميم المراقبة الرقمية، تستوجب مقارنة الموضوع والتفصيل فيه أكثر، اعتماد العديد من العناصر المتباينة والمتداخلة.

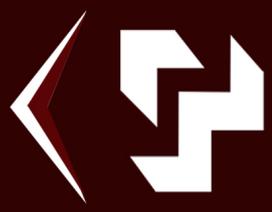
### الفقرة الأولى: أساسيات وتطبيقات نماذج من المراقبة الرقمية

إن اجتياح جائحة الفيروس التاجي لمختلف دول العالم، رافقه استراتيجيات وتكتيكات لمحاولة محاربتها والتخفيف من أثارها. بشكل عام، كان هناك اتباع نهج تقليدي للصحة العامة يشمل مراحل الاحتواء (خطوات لمنع الفيروس من الانتشار)، والتأخير (تدابير للحد من ذروة الأثر)، والتخفيف (تزويد النظام الصحي بالدعم الضروري) والبحث (البحث عن تدابير فعالة إضافية للعلاج). كما تضمنت التدابير النموذجية المستخدمة في مرحلتي التأخير والاحتواء نظافة شخصية متزايدة وأكثر نشاطاً، وارتداء ملابس واقية، وممارسة التباعد الاجتماعي والعزل الذاتي، وحظر التجمعات الاجتماعية، والحد من السفر، والحجر القسري. كما تم تسخير التقنيات الرقمية القائمة آنذاك والجديدة واقتراحها لتعزيز واستكمال التدابير التقليدية في هذه المراحل، مصحوبة بحجج مفادها أنها ستحسن فعاليتها من خلال المراقبة الجماعية في الوقت الفعلي على المستوى الفردي والجماعي، مما تعمل على تحسين التحكم في المواطنين.

في الواقع، كانت العدد من الدول سريعة نسبياً في نشر الحلول التي تقودها التكنولوجيا للمساعدة في استجابتها لفيروس conoravirus لثلاثة أغراض رئيسية: (1) فرض الحجر الصحي / إذن الحركة (معرفة الأشخاص أين يجب أن يكونوا، إما فرض العزل المنزلي لأولئك الأفراد المصابين، أو تمكين الحركة المعتمدة لغير المصابين)؛ (2) تتبع الاتصال (معرفة المسار الذي يسلكه المواطنون)؛ و(3) نمذجة الأنماط والتدفق (معرفة توزيع المرض وانتشاره؛ وكم عدد الأشخاص الذين يمرون عبر الأماكن وما إذا كانت هناك تدابير إبعاد/عزل اجتماعي يتم ملاحظتها، وذلك كله عن طريق نهج المراقبة الرقمية المعممة<sup>4</sup>.

<sup>3</sup> - Aaron K. Martin; Rosamunde Van Brakel; Daniel J. Bernhard; Understanding resistance to digital surveillance. Towards a multi-disciplinary, multi-actor framework; at: <file:///C:/Users/Minfo/Downloads/3282-Article%20Text-5592-2-10-20120130.pdf>.

<sup>4</sup> - Rob Kitchin; Using digital technologies to tackle the spread of the coronavirus: Panacea or folly? 21 April 2020; at: <http://progcity.maynoothuniversity.ie/wp-content/uploads/2020/04/Digital-tech-spread-of-coronavirus-Rob-Kitchin-PC-WP44.pdf>.



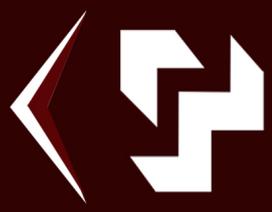
مقارنة بالأزمة السابقة، فإن إحدى خصائص الأزمة الصحية التي تسبب فيها فيروس كورونا هي انتشار أنظمة الأمن إلى جانب عودة النظم التأديبية، وقبل كل شيء تحديثها المشترك من خلال أجهزة الكمبيوتر، واستخدامات الشرطة التقنية، لأن الأشكال المختلفة للمراقبة الرقمية، التي كانت مستوطنة بالفعل قبل الأزمة كانت موجودة في المنطق التأديبي والحجر المرتبط بتدابير الاحتواء، ونذكر على سبيل المثال عندما كانت تفرض السلطات ارتداء سوار إلكتروني على الأشخاص الذين يخضعون للحجر الصحي ومحبوسين في منازلهم، أو عندما تجبر الشرطة هؤلاء الأشخاص على إرسال صورهم الشخصية بانتظام من هواتفهم الذكية من منازلهم<sup>5</sup>.

فقد أعادت أزمة فيروس كورونا خلال تلك المرحلة بشكل كبير المراقبة الرقمية إلى الواجهة، من خلال تحقيق قفزة نوعية في الأتمتة، ذلك أن تكنولوجيا الكمبيوتر المعاصرة تجعل من الممكن بالفعل مضاعفة المراقبة من خلال مختلف البيروقراطيات التي كانت سائدة، وساهمت هذه التطبيقات في أتمتة استراتيجيات تتبع الاتصال التي يتم تنفيذها من قبل المهنيين الصحيين أو المتطوعين لتحديد سلاسل تفشي فيروس كورونا التي قد تكون مكلفة من الناحية المالية في الحالات العادية؛ من ناحية أخرى، كانت تقوم بنوع من الثقافة على مستوى المراقبة الذاتية وتكريس المسؤولية الفردية، والدعوة إلى نهج "طوعي" في الالتزام بالحجر الصحي والتباعد الاجتماعي، من خلال تشجيع الأفراد على تبني "سلوكيات جيدة" وفقاً لاقتراحات مبرمجة في الواجهات التي تصممها البنيات الرقمية<sup>6</sup>.

بالفعل، قد توفر الهواتف المحمولة والتطبيقات والأجهزة المتصلة رقمياً مجموعة من البيانات التي يمكن استخدامها لتتبع الحركات والارتباطات بدرجات متفاوتة من الخصوصية. على الرغم من أن تلك المراقبة الرقمية تطلبت من المستخدمين تمكين جمع البيانات، إلا أن الكثير منها كان موجوداً بالفعل في أيدي الشركات التي تستخدمها الآن للتنبؤ بمختلف الاتجاهات. مثلاً كانت تستخدم شركة مقياس الحرارة الذكية، على سبيل المثال، بيانات درجة الحرارة في الوقت الفعلي للتنبؤ بنقاط COVID-19 الساخنة، وهو ما تم فعله بنجاح للتنبؤ بالإنفلونزا الموسمية سابقاً. وكانت تقوم شركة Google بالفعل بتجميع البيانات من خرائط Google وأماكن أخرى لرسم التحولات في حركة الأشخاص بمرور الوقت لمساعدة المسؤولين على تحديد مدى مشاركة المواطنين في التباعد الاجتماعي. كلاهما أمثلة على التحليل على مستوى المواطنين، باستخدام البيانات المجمعة لتقييم الاتجاهات بطرق يمكن إذا تم تصميمها وتنفيذها بشكل صحيح، أن توفر معلومات صحية مهمة مع حماية

<sup>5</sup> - Félix Tréguer ;Gestion techno-policière d'une crise sanitaire ; 06/05/2020 ;at : <https://www.sciencespo.fr/cei/fr/content/gestion-techno-policiere-d-une-crise-sanitaire>

<sup>6</sup> -Ibid.



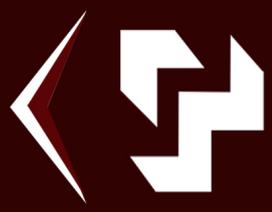
الخصوصية الشخصية أيضاً. حيث كانت البيانات التي يتم جمعها من قبل شركات ميزان الحرارة الذكية تعطي سلطات الصحة العامة تحذيرات من تفشي الأمراض المحتملة.

عملت أزمة فيروس كورونا آنذاك، على تسريع استخدام الحكومات لتقنيات المراقبة الجديدة. في إسرائيل وكوريا الجنوبية، على سبيل المثال، كانت تستخدم الحكومات بيانات موقع الهاتف الذكي لتعقب المواطنين الذين ربما تعرضوا للفيروس. ومررت كوريا الجنوبية قانون شامل للأمراض المعدية بعد أن أخفقت في ردها على فيروس تاجي مختلف قبل خمس سنوات - متلازمة الشرق الأوسط التنفسية أو متلازمة الجهاز التنفسي في الشرق الأوسط - مما سمح للمسؤولين في إنتاج ملفات للمرضى المؤكدين باستخدام بيانات الهاتف المحمول ومعاملات بطاقات الائتمان. وقد استخدمت السلطات هذه المعلومات لتحديد الأشخاص الذين تعاملوا مع مرضى الفيروس التاجي، ثم كانت تشجعهم على الفحص أو البقاء في المنزل.

وفي هونغ كونغ، كانت تفرض على الوافدين الجدد ارتداء الأساور الإلكترونية لتتبع المواقع؛ وكانت تقوم سنغافورة بتتبع اتصالات مكثفة وتُنشر معلومات تفصيلية حول كل حالة معروفة. في حين أن المراقبة المعززة ليست في حد ذاتها معادية للديمقراطية، فإن مخاطر الانتهاكات السياسية لهذه التدابير الجديدة كبيرة، خاصة إذا كانت مرخصة وتُنفذ بدون شفافية أو رقابة. في الهند، على سبيل المثال، كانت تضغط الحكومة على وسائل الإعلام المحلية للحفاظ على تغطية إيجابية حتى عندما تنفذ استراتيجيات مقلقة مثل "مطالبة الأفراد المعزولين بتحميل صور شخصية بشكل دوري" واستخدام تتبع الموقع لضمان التقاط الصورة في منزل الفرد.

لقد منح الوباء الحكومات في الصين وروسيا والدول الاستبدادية الأخرى تبريراً أكبر لنشر أنظمة أكثر تطفلاً، بما في ذلك الاستخدام الواسع النطاق للتعرف على الوجه ومراقبة وسائل التواصل الاجتماعي. إن اضطهاد الحكومات لأولئك الذين كانوا يشاركون معلومات غير ملائمة سياسياً شجع أكثر الرقابة الذاتية، حتى بين أولئك الذين لديهم معلومات حيوية يقدمونها. كما أن الحكومات التي كانت تمنع النقد أو تختار عدم الشفافية مكنها ذلك أكثر من حماية موقفها السياسي على حساب الصحة والسلامة العامة وبشكل فعال. أما بالنسبة لبعض الحكومات، كان ذلك ببساطة استمراراً للأنماط القديمة. لكن بالنسبة للآخرين، كان بمثابة اتجاه مثير للقلق ترك سوابق كارثية بمجرد انحصار تلك الأزمة.

كان المسؤولون الأمريكيون يقومون بسحب بيانات موقع الهاتف المحمول من شركات الإعلان عبر الهاتف المحمول لتتبع وجود الحشود- وليس الأفراد. أعلنت شركة Google Inc. وشركة Alphabet Inc. عن خطط لإطلاق تطبيق تطوعي يمكن لمسؤولي الصحة استخدامه لإجراء هندسة عكسية لمكان وجود المرضى- شريطة أن

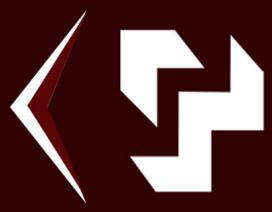


يوافقوا على تقديم هذه المعلومات. في غرب أستراليا، وافق المشرعون على مشروع قانون لتثبيت أدوات المراقبة في منازل الناس لمراقبة أولئك الذين وضعوا تحت الحجر الصحي. واستخدمت السلطات في هونغ كونغ والهند سياجًا جغرافيًا يرسم سياجًا افتراضيًا حول مناطق الحجر الصحي. إنهم كانوا يراقبون الإشارات الرقمية من الهواتف الذكية أو الأساور لردع مخالفات القواعد ومخالفات القانون الذين يمكن إرسالهم إلى السجن. وقد كان يرسل تطبيق المراسلة الأكثر شيوعًا في اليابان أسئلة الحالة الصحية إلى مستخدميه نيابة عن الحكومة. وقالت السلطات في موسكو آنذاك إنها استخدمت تقنية التعرف على الوجه للقبض على امرأة صينية خرقت الحجر الصحي وكانت تسير في الشوارع بشكل غير قانوني. استخدمت الشرطة في ديربيشاير، إنجلترا، طائرات بدون طيار لرصد حركة المواطنين الذين خرجوا الحجر الصحي. وقالت كانساس إنها استخدمت بيانات تتبع GPS من جهة خارجية لمراقبة ما إذا كان الناس يلتزمون بالمكالمات للبقاء في المنزل.<sup>7</sup>

وفي المغرب كانت المديرية العامة للأمن الوطني قد زودت رجال الشرطة في نقاط المراقبة بتطبيق إلكتروني على هواتفهم الذكية من أجل ضبط تنقلات المواطنين. ويمكن التطبيق، الذي أعده فريق عمل يضم مهندسين وتقنيين تابعين لمديرية الأنظمة المعلوماتية والاتصال، رجال الشرطة من الاطلاع على نقاط المراقبة التي مر منها المواطن سلفاً، ما يسهل عملية تتبع التنقلات التي تشكل خرقاً لمقتضيات حالة الطوارئ الصحية، واتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة في حق المخالفين. وقد تم إطلاق هذا التطبيق فعلياً تحت اسم "وقائتي"، وعلى الرغم من التطمينات التي قدمتها كل من وزارة الصحة ووزارة الداخلية، إلا أنه أثار العديد من ردود الأفعال من طرف هيئات حقوق الإنسان، وأيضاً على مستوى شبكات التواصل الاجتماعي، حيث دعا الكثير من الفاعلين إلى مقاومة هذا التطبيق لأنه يخرق مبدأ الخصوصية، ويمكن أن يستعمل في تحقيق أغراض وأهداف سياسة غير مرتبطة بالحد من تفشي فيروس كورونا، وحماية الصحة العامة، وقد يعزز من المراقبة الشاملة للمواطنين خصوصاً بعد زوال فيروس كورونا.<sup>8</sup>

<sup>7</sup> - Liza Lin in Singapore ;Timothy W. Martin ;op.cit.

<sup>8</sup> - أثار هذا التطبيق مخاوف كثيرة حيث يمكن أن يشكل بداية لتكريس المراقبة الرقمية المعقدة التي يمكن أن توظف في أغراض قد تحمل طابعاً سياسياً، وفي تطبيقاتها العملية قد تنتهك مبدأ الخصوصية وردود أفعال من جمعيات حقوقية مختلفة وحتى على مستوى منصات وسائل التواصل الاجتماعي، وقد تم نقل هذا النقاش داخل مجلس النواب حيث نقل **عمر يلافريج**، النائب البرلماني عن فيديريالية اليسار الديمقراطي (معارض)، الجدل حول التطبيق إلى مجلس النواب، بعدما وجه سؤالاً كتابياً إلى وزير الداخلية عبد الوافي لفتيت، حول مدى مطابقة التطبيق لقانون حماية البيانات الشخصية المغربي. وتساءل البرلماني في نص السؤال، عما إذا كان إحداث الملف المتعلق بالبيانات الشخصية المعالجة لحركة المواطنين خلال فترة **حالة الطوارئ الصحية** قد تم بمقتضى قانون أو نظام، وعما إذا كان "قد تم عرضه على اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي لإبداء الرأي حوله". قال وزير الداخلية عبد الوافي لفتيت إن هذا التطبيق هو تطبيق مرحلي فقط. وأضاف لفتيت يوم الأربعاء خلال اجتماع لجنة الداخلية بمجلس النواب: "الهدف من هذا التطبيق هو تتبع الأشخاص الذين يتنقلون خارج بيوتهم في إطار الحجر الصحي، وهل ملتزمون أم لا، وسيمكن موظفي



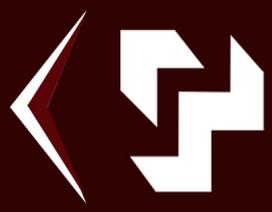
وفي هذا الإطار كانت أكثر عمليات مراقبة الجائحة عدوانية في الصين. إذ استخدمت السلطات أرقام الهواتف المحمولة وبيانات الموقع لتتبع هويات الآلاف من السكان الذين غادروا ووهان، أقرب مركز لتفشي المرض، إلى مدن أخرى خلال عطلة السنة القمرية الصينية الجديدة، ثم تم نقل المعلومات إلى المسؤولين المحليين وعاملي الأحياء، الذين طلبوا من الأفراد المستهدفين عزل أنفسهم لمدة أسبوعين - على الرغم من أن الكثيرين لم يسجلوا أي أعراض حتى الآن. كما استخدمت السلطات الصينية سجلات السفر والكاميرات الأمنية لتحديد الأشخاص الذين كانوا على اتصال مع مرضى الفيروس التاجي في البلاد في القطارات والطائرات وزوايا الشوارع، كما تم عزل هؤلاء السكان عنوة<sup>9</sup>.

### ثانياً: المراقبة الرقمية وفقدان الخصوصية

بداية لا يمكن إنكار أن المراقبة الرقمية في زمن كورونا لقيت ترحيباً واسعاً من طرف مجموعة من الباحثين، إذ قال البروفيسور وارويك مثلاً إلى "أنه في ظل "وفرة من المعلومات يتعين علينا استخدامها بالفعل، مع إيجاد التكنولوجيا الجديدة وفرص جمع البيانات لجعل تتبع حركة المواطنين، يمكن بالفعل تتبع موقع الشخص باستخدام تقنية مثل تطبيقات الهواتف الذكية والمكالمات الهاتفية ومعاملات البطاقة. وكذلك وسائل النقل العام أيضاً مزيداً من المعلومات حول الشخص الذي قد يكون على اتصال به، باستخدام أرقام المقاعد المخصصة أو تحديد الحافلة التي استقلها شخص ما باستخدام تصاريحه. لطالما انتقد الكثيرون استخدام الهواتف المحمولة، والدوائر التلفزيونية المغلقة وغيرها من التقنيات لتتبع الحركة لكونها انتهاكاً للخصوصية. ومع ذلك، فإن تسجيل حركة الأفراد الذين قد يكون اختبارهم لاحقاً إيجابياً لـ COVID-19 يمكن أن يساعد في الحد من انتشار المرض عن طريق تحذير أولئك الذين يتلامسون معهم، ومنع المزيد من الانتشار، وأن تقنية التتبع "الأخ الأكبر" هي بالفعل حقيقة في الحياة العصرية، لذا يجب تبنيها للمساعدة في مكافحة انتشار COVID-19. إن الأخ الأكبر يراقبك بالفعل - لذا دعه يساعدنا في محارب COVID-19. وأضاف البروفيسور وارويك "على أن مفهوم الخصوصية يجب أن يتغير، خاصة في وقت الظروف الاستثنائية. كانت لدينا عدد كبير من المعلومات المتاحة، ولكننا لا نستخدمها، يجب التعامل مع التغييرات غير العادية في القانون بحرص شديد للاحتفاظ بقواعد حماية البيانات الهامة، لكننا نتحدث عن مسألة حياة أو موت، حجب معلومات معينة عن موقع شخص مصاب في وقت محدد يمكن أن يعرض العديد من الأرواح للخطر، يجب أن نكون واقعيين، نحن في عالم تكنولوجي، ولكننا نستخدم وجهات نظر

الشرطة من الاطلاع على نقط المراقبة التي مر منها المواطن سلفاً، مما يسهل عملية تتبع حركة تنقلاته وتحديد التنقلات التي تشكل خرقاً لمقتضيات حالة الطوارئ الصحية."

<sup>9</sup> - - Liza Lin in Singapore ;Timothy W. Martin ;op.cit.



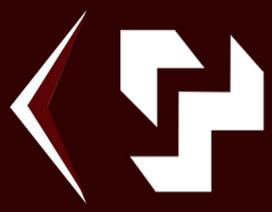
أخلاقية من القرن التاسع عشر. Big Brother معنا الآن، لذلك من أجل مصلحتنا يجب أن نستخدمها للمساعدة في عدم إعاقتنا"<sup>10</sup>.

وعلى الرغم من وجود هذه الأصوات التي استحسنت فكرة اعتماد المراقبة الرقمية إلا أنه بالمقابل كانت هناك جبهة مضادة معارضة لهذا التوجه، إذ أنه على الرغم من أن الديمقراطيات والدول الاستبدادية على حد سواء تتشارك في ممارسات مراقبة رقمية جماعية واسعة النطاق وغالبًا ما تستخدم أدوات قابلة للمقارنة، وإن كان ذلك مع مستويات مختلفة من الضمانات القانونية والتشريعية، خاصة عندما تقترن التكنولوجيا بالموارد والقدرات الهائلة للدولة، فقد أدت التكنولوجيا إلى ظهور "دول الشرطة الإلكترونية" العالمية التي يمكنها الوصول إلى أحجام غير مسبوقة ودقيقة من معلومات المواطنين من البيانات الصحية حتى على مستوى سلوك الاستهلاك وسلوك الناخبين، إذ كان يمكن لمعظم الدول جمعها ومعالجة البيانات الوصفية للهاتف الخليوي أو الاستخدام المباشر لتتبع الهاتف الخليوي لمتابعة الأفراد في الوقت الفعلي، حتى عندما يتم إجراؤها لأغراض الأمن القومي ومكافحة الإرهاب، فإن حجم وتفاصيل بيانات المواطنين التي كان يتم جمعها، تؤدي إلى ملاحظات متشائمة بحق حول الحريات الفردية والخصوصية. على حد تعبير فيليب هوارد، مدير الأبحاث في معهد أكسفورد للإنترنت: "نحن كمواطنين، خسرنا حرب الخصوصية الأولى"، كما قال سنودن في هذا الصدد "بأنك لا تهتم بالخصوصية لأنه ليس لديك ما تخفيه لا يختلف عن القول بأنك لا تهتم بحرية التعبير لأنه ليس لديك ما تقوله"<sup>11</sup>.

إن الخصوصية الشخصية، التي كان من السهل الحفاظ عليها إلى حد ما، أصبحت أكثر صعوبة في هذا العصر الرقمي، بمعنى أن هناك جانب آخر من جوانب مجتمع المعلومات هو فقدان الخصوصية. يشعر العديد من خبراء تكنولوجيا المعلومات (تكنولوجيا الإنترنت)، مثل دانيال جيه. سولوف (Daniel J. Solov)، وسيدسون جارفينكل (Sibson Garvenkle)، وإيفجيني موروزوف (Evgeny Morozov)، بالقلق حيال كيفية تهديد توسع الإنترنت لخصوصية الفرد. في عام 1984، يتم تعليم المواطنين، حب الأخ الأكبر وتبني المراقبة المستمرة والافتقار التام للخصوصية، كطريقة للحياة. اليوم، نوفر عن طيب خاطر ودون اعتبار كبير للحكومات ولشركات الإنترنت

<sup>10</sup> - Warwick;Big Brother is already watching you – so let him help fight COVID-19; University of Reading; 27 May 2020;at <https://techxplore.com/news/2020-05-big-brother-covid-.html>.

<sup>11</sup> - Paul shrodt;Edward Snowden just made an impassioned argument for why privacy is the most important right;15 sep 2016;at: <https://www.businessinsider.com/edward-snowden-privacy-argument-2016-9>



المختلفة وصفحات الويب ووسائل التواصل الاجتماعي ومنتديات الدردشة عبر الإنترنت معلوماتنا ومواقعنا وصورنا وتفصيلنا الشخصية وحتى أفكارنا ومشاعرنا الداخلية<sup>12</sup>.

إن التساؤل عن مدى وجود الخصوصية في العصر الرقمي ليس بالجديد. في الواقع، في مقابلة مع CNBC في عام 2009، قال الرئيس التنفيذي السابق لشركة Google Eric Schmidt أن الأشخاص الذين لديهم أشياء يجب إلقاء اللوم عليهم فقط يجب أن يهتموا باستخدام بياناتهم الشخصية. ولذا، لم يكن ينبغي لمستخدمي الإنترنت "الامينين" أن يهتموا بحماية خصوصيتهم. في مجتمع تتم فيه مراقبة وتحليل جميع أفعالنا وإيماءاتنا اليومية، من الصعب جدًا عدم الكشف عن هويتك على الويب وتميل فكرة الحياة الخاصة إلى فقدان معناها. ولاشك أن تعريض خصوصيتنا للخطر لم يعد يتوقف عند قواعد البيانات التي تخزن معلوماتنا التي يتم الكشف عنها عبر محركات البحث أو عمليات الشراء عبر الإنترنت أو الاتصالات على الشبكات الاجتماعية، لا يتم جمع بياناتنا وتخزينها فقط، بل يتم تفسيرها من قبل متخصصين، ولا يمكن أن يكشف تحليلها عن أشياء لا نعرفها عن أنفسنا فحسب، بل إنها تتنبأ أيضًا بظروفنا وأذواقنا المستقبلية<sup>13</sup>.

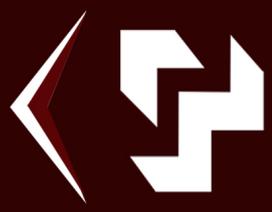
إن اعتماد هذه المراقبة مكن الحكومات من معرفة أدق تفاصيل الحياة اليومية للمواطنين، إذ قال خبير الخصوصية دانييل جيه. سولوف Solove في كتابه "الشخص الرقمي - التكنولوجيا والخصوصية في عصر المعلومات" أننا أصبحنا مجتمعًا من السجلات. يتحدث عن الملفات الرقمية، في إشارة إلى مجموعة رقمية من البيانات حول كل فرد. إن اختياراتنا للصحف والأطباء والمحامين وشركات بطاقات الائتمان وأرباب العمل وما إلى ذلك كلها مسجلة - لا نحفظ بها نحن بل من قبل أطراف ثالثة (الحكومات والشركات). يتم جمع البيانات المتعلقة بنا باستمرار من شركات الويب وصفحات الويب وما إلى ذلك، ويتم تجميعها؛ هذه السجلات تمكن الحكومة من الكشف عن الأنشطة غير القانونية مثل الاحتيال وتجارة المخدرات، ولكن أيضًا لمعرفة معتقداتنا الدينية والسياسية.

وكان Solov دانييل جيه. سولوف، يدعي أن الإنترنت لديه القدرة على أن يصبح أحد أعظم أدوات الحكومة لجمع المعلومات، التي يمكن أن تطلب من (ISP مزود خدمة الإنترنت) الاحتفاظ بسجلات لرسائل البريد الإلكتروني

<sup>12</sup> - Marie Anneling ; "The Internet is Watching You" Why and How George Orwell's 1984 should be taught; in the EFL Classroom ; Göteborg University ;Dept of Languages and Literatures/English ; at :

[https://gupea.ub.gu.se/bitstream/2077/33674/1/gupea\\_2077\\_33674\\_1.pdf](https://gupea.ub.gu.se/bitstream/2077/33674/1/gupea_2077_33674_1.pdf)

at : <https://www.insurancespeaker-wavestone.com/2017/08/is-big-brother-5> - Cristina ICHIM; is big brother watching you<sup>13</sup> [watching-you/](https://www.insurancespeaker-wavestone.com/2017/08/is-big-brother-5).



الخاصة بالفرد، إلى من يتم إرسالها وما هي محتوياتها. يمكن للحكومة أيضاً الحصول على معلومات حولنا، مثل أفلامنا المفضلة ووجهات السفر والمواعيد اليومية من صفحات ويب معينة.<sup>14</sup> وهذا يجسد إلى حد كبير نموذجي مجتمع البانوبتيك والأخ الأكبر يراقبك.

### ثالثاً: في بناءات مجتمع البانوبتيك وفروض الأخ الأكبر يراقبك

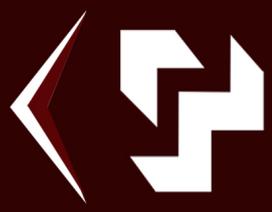
في البداية لابد من الإشارة إلى أن من الفلاسفة الذين كان يتم الاستشهاد بهم في كثير من الأحيان حول موضوع الخصوصية والمراقبة هما "جيريمي بينثام" و"ميشيل فوكو" كما تمت الإشارة إلى ذلك من قبل، حيث تشكل كتاباتهما النظريات الكامنة وراء التكتيكات المستخدمة في المراقبة، حتى وإن تطورت السياسة والمجتمع والتكنولوجيا من وقتهم حتى اليوم، لا تزال مفاهيمهما الأساسية قابلة للتطبيق.

لقد كانت المراقبة قبل العصر التكنولوجي، شخصية بطبيعتها، أي أن شخصاً يراقب شخصاً آخر، ربما من خلال الاختباء وراء شجرة أو النظر من خلال نافذة أو وضع كوب بجوار باب لسماع ما يحدث على الجانب الآخر، كان هذا النوع من المراقبة سريعاً من حيث التصميم ولم يعرف الشخص أنه يخضع للمراقبة، كانت هناك حالات أخرى للمراقبة التي لم تتم سرا ولكن علنا تماما، على سبيل المثال، التصميم المعماري لـ Bentham للسجون، Panopticon، هيكل يسمح لشخص واحد بمشاهدة العديد من الآخرين. تضمن تصميم بنثام مبنى دائرياً مع برج يقع في المنتصف، ستواجه زنانات السجن باتجاه البرج وسيراقب مراقب البرج في هذه الحالة، لا يعرف الأشخاص المقصودون (السجناء)، أبداً ما إذا كانوا تحت المراقبة أو متى تتم مراقبتهم كما لا يمكنهم الرؤية داخل البرج المركزي. وبالتالي، فإن السجناء هم من الناحية النظرية في حالة مراقبة مستمرة. كما أن تطبيق هذا التصميم يهدف إلى تحقيق أغراض أخرى، تحدث أيضاً عن رؤية للمراقبة المستمرة وتطبيق السلطة من قبل "المؤسسة"، إذ يمكن أن تكون المؤسسة صناعة أو سلطة حكومية أو تعليم، أي نوع من الكيانات التي تمتلك السلطة المعيارية على الآخرين.<sup>15</sup>

وبتجاوز التصميم المعماري الذي أنشأه بنثام، يحدد فوكو نموذج المراقبة الذي تعتمده السلطة في المدن نهاية القرن السابع عشر، التي تواجه الطاعون واليائسة للسيطرة على انتشار المرض، يتم تأمين سكان المدينة داخل منازلهم، يتم تطبيق المراقبة كما يصف في هذا المشهد، "يتم وضع كل شارع تحت سلطة نقابة، وتبقيه تحت المراقبة؛ إذا غادر الشارع فسيحكم عليه بالإعدام، وظائف الميليشيات، يقودها ضباط جيدون، حراس عند

<sup>14</sup> - Marie Anneling ; op.cit.

<sup>15</sup> - Robert McMahon; Surveillance and Privacy in the Digital Age: A Primer for Public Relations;(accessed on );at: [https://scholarworks.arcadia.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1003&context=grad\\_etd](https://scholarworks.arcadia.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1003&context=grad_etd).



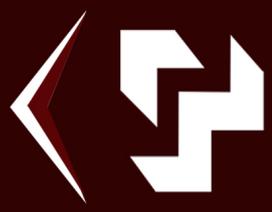
البوابات، في دار البلدية لضمان الطاعة العاجلة للشعب"، هذه المراقبة تقوم على نظام التسجيل الدائم: تقارير من النقابات إلى المدعى عليهم، من المدعى عليهم إلى القضاة أو العمدة". في هذه الحالة، يعرف الأشخاص أنهم مراقبون ومتى تتم مشاهدتهم<sup>16</sup>.

وتوجد تفسيرات نقدية مماثلة للبانوبتيكون أيضًا في أعمال كل من "جيرترود هيملفارد" Gertrude Himmelvareb و"جاك ألين ميللر" Jack Allen Miller، الذين حددوا البانوبتيكون كأداة للقمع والسيطرة الاجتماعية، مما يعزز السلوك الجماعي الموحد ويزيد من التكاليف الاجتماعية للانحراف عن الأنماط الثقافية الصارمة للسلوك. من هذا المنظور، يمكن النظر إلى panopticon و panopticism كأنماط استبدادية للسيطرة على الدولة والتنظيم الاجتماعي. وفي هذا السياق التحليلي لابد من الإشارة أيضًا إلى نقد بوستر Poster لـ"بانوبتيكون فوكو".

وبدوره يقترح بوستر: "Super-Panopticon: كنظام مراقبة بدون جدران أو نوافذ أو أبراج أو حراس"، مع ذكر أيضًا عمل "غاندي Gandhi" على رأسمالية عصر المعلومات، ويعتبر أيضًا "هاغرتي Haggerty" أن هيمنة Panopticon في نظرية المراقبة المعاصرة مشكلة، ويجادل بأنه تم تجاوزه إلى المجالات حيث يبدو غير مناسب، وأن الخصائص الهامة للمراقبة التي لا تتناسب مع النموذج يتم تجاهلها. وخلص "هاغرتي Haggerty" إلى أن دراسات المراقبة تعكس حالة تحول في النموذج، حيث يدرك العلماء الصلة المحدودة لنموذج Panopticon بالديناميكيات المعاصرة للمراقبة الأسئلة الرئيسية التي أثرت تتعلق بما إذا كانت بنية التحكم قد تم استبدالها، وما إذا كانت آليات التحكم قد تغيرت، وما إذا كان اتجاه النظرة قد تغير في مكان آخر، ووفقًا "لهاجرتي Haggerty" و"إريكسون Ericsson"، تعد المراقبة أحد المكونات المؤسسية الرئيسية للحدثة المتأخرة. إنهم يفضلون مفهوم التجمع الناشئ للمراقبة على "البانوبتيكون". إذ يعمل التجميع من خلال تجريد الأجسام البشرية من بيناتها الإقليمية وفصلها إلى سلسلة من التدفقات المنفصلة، والتي يمكن إعادة تجميعها في "مضاعفات البيانات" المتميزة وتحليلها واستهدافها للتدخل. تحدث تسوية جذرية لهرمية المراقبة؛ المجموعات التي كانت معفاة سابقًا من المراقبة الروتينية تخضع الآن للمراقبة بشكل متزايد، وبالتالي يجب أن تأخذ نظريات المقاومة في دراسات التردد في الاعتبار هذه الجوانب الرقمية والخوارزمية والجذرية لممارسات المراقبة الجديدة<sup>17</sup>.

<sup>16</sup> - Robert McMahon ;op.cit.

<sup>17</sup> -Aaron K. Martin ;Rosamunde Van Brakel ;Daniel J. Bernhard ;Understanding resistance to digital surveillance. Towards a multi-disciplinary, multi-actor framework ;op.cit.

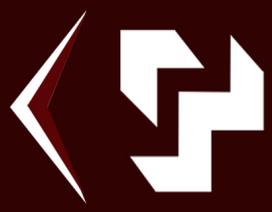


إن ما تطور من أمثلة القرن السابع عشر هذه هو تكتيكات المراقبة أيضا. ما كان يتطلب في السابق هيكلاً معمارياً يتم فعله بواسطة أجهزة الكمبيوتر، وما كان يتطلب يوماً أن يكون الإنسان في الشارع أمام منزلك يتطلب فقط برنامجاً ومحللاً في مخبأ بعيداً. إن ما اعتبر ذات مرة ضرورياً فقط في ظروف معينة ومحددة، مثل مراقبة إرهابي أو مجرم، قد اكتسب تأييداً لجميع الظروف تقريباً وجميع الناس، وحتى بعد سبعة عقود من نشر كتاب جورج أورويل "1984"، يظل "الأخ الأكبر" "Big Brother" بمثابة الاستعارة المفضلة للمراقبة الشاملة، وكلما ازدادت تكنولوجيا المراقبة تعقيداً، تفوقت على الفهم العام للتهديدات التي تشكلها، ويبدو مستقبل المراقبة أكثر اتساعاً وغزواً مما يمكن أن يجسده استعارة الأخ الأكبر. في رواية جورج أورويل "1984"، يظهر الأخ الأكبر الذي هو رئيس حزب سياسي شمولي يحاول تحطيم المواطنين بإرادتهم الحرة، جزئياً ومن خلال التحذيرات من المراقبة المستمرة. تقول عبارة "الأخ الأكبر يراقبك"، وأما في العصر الحالي يواجه المواطنون أيضاً تهديدات الطائرات بدون طيار الممولة من القطاع الخاص، على سبيل المثال، أو التطبيقات التي تتجسس عليهم، أو قوائم الشرطة التي تحتوي على صور رخصة القيادة الخاصة بهم<sup>18</sup>.

إن الخصوصية، والمراقبة، وإساءة استخدام الحكومة للبيانات هي المخاوف التي غدت ترهب المواطنين في عالم رقمي معقد، واستعارة عبارة "الأخ الأكبر يراقبك" هو بمثابة تحذير مجازي حول العواقب إذا استخدمت الحكومات التقنيات الحديثة للحفاظ على السلطة والسيطرة على المواطنين، فالقضايا المتعلقة بإساءة استخدام البيانات والمراقبة ليست مسألة جديدة في مشتل الأدبيات الأكاديمية ووسائل الإعلام، ولكن التهديد إبان زمن جائحة كورونا كان أكثر شدة، فقد تقدمت التكنولوجيا إلى النقطة التي أصبحت فيها رؤية جورج أورويل البغيضة "الأخ الأكبر" للدولة الشمولية ممكنة. نظراً للتقدم التكنولوجي، تمت إزالة الحواجز المرتبطة بجمع ومعالجة البيانات في الوقت الفعلي حول ملايين الأشخاص. وهذا السياق يستكشف كيف يمكن التقاط واستخدام تدفقات البيانات الجديدة، والمعالجة باستخدام الذكاء الاصطناعي والتحليلات التنبؤية أن تدعم سيطرة الحكومة على مواطنيها. بعض مكونات نظام التحكم في التفكير والمراقبة في الوقت الحقيقي قيد الاستخدام بالفعل. يمكن توصيل هذه المكونات مثل الكاميرات، وأجهزة الاستشعار، وقواعد بياناتنا SQL، والتحليلات التنبؤية، والذكاء الاصطناعي وتحسينها، وعليه كان يجب على الباحثين الداعمين للقرار فهم القضايا ومقاومة محاولات استخدام تقنيات المعلومات لدعم الحكومات الشمولية الحالية أو المستقبلية<sup>19</sup>.

<sup>18</sup> - Robert McMahon ; op .cit.

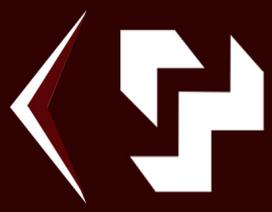
<sup>19</sup> - Daniel J. Power ; "Big Brother" can watch us ;op.cit.



في العالم الحقيقي، كان المواطنون يواجهون مجموعة كبيرة من تهديدات المراقبة التي تتجاوز حتى أكثر المراقبة الحكومية التقليدية والمنسقة المخيفة. لدرجة أن البعض الآخر كان يأخذ نظرة واسعة - حتى ذات بعد ميتافيزيقي. نجد مثلاً أن بنجامين سالتزمان Benjamin Saltzman كان يعتقد أن إحدى الطرق المفيدة لفهم المراقبة المعاصرة هي مقارنتها بمفهوم القرون الوسطى "إله كلي يعلم كل شيء". وهذا كان يتطلب مواطنين (سواء اختاروا أو لم يختاروا) للعمل في مجتمع منظم يخضعون فيه لقوة غامضة ومتبصرة. في "العصور الوسطى، كان من الممكن إحضار الله كشاهد في قضايا المحكمة". كتب السيد سالتزمان Saltzman في مقال حديث له، "كان الله يعرف كل أسرار البشر، لكن أسرار الله ظلت غير معروفة بشكل أساسي للبشر". يقترب هذا كثيراً من شبكة أجهزة المراقبة الرقمية التي تجمع البيانات باستمرار وتحاول التنبؤ بالسلوك البشري.

لا شك أن المراقبة الرقمية المعقدة وجمع البيانات لن تكن هي السلاح الوحيد الذي كان يتحكم في المواطنين، ولكن القدرة على استخدام هذه المعلومات لغسل دماغ المواطنين والحد بشكل كبير من رؤيتهم ومعرفتهم. إذ تم ذلك عن طريق إغراق المواطنين باستمرار بالدعاية وتغيير الأخبار والحقائق والأحداث. ومجتمع تكنولوجيا المعلومات، هو بمثابة الطريقة التي بها تم استخدام التكنولوجيا لرصد وتفسير وجهات نظر المواطنين ومعتقداتهم الشخصية وحتى أفكارهم. إذ كان يمكن لأدوات المراقبة الرقمية أن تعمل في أي وقت على تسجيلك أنت وأصغر حركات وجهك، ويمكن ملاحظة وتفسير أي ميل للسخط، وحتى معرفة مزاجنا الحالي وحالتنا الذهنية، والهدف كان هو تكريس نمط الدولة البوليسية التي تحكم السيطرة على المواطنين.

وقد كانت هذه المعلومات المتعلقة بنا وتلك التي كان يتم ربطنا بها أداة قوية للتأثير علينا في قراراتنا الأكثر حيوية، مثل لمن نصوت أو ما نؤمن به. أي القدرة على التحكم في البشر وعقولهم ولما لا برمجتهم. إذ الهدف كان ليس تدمير الخصوم والمعارضين فقط، بل تحويلهم أيضاً، كما أن شاشة الكمبيوتر الخاصة بكل فرد هي نوع من المرآة الأحادية الاتجاه، تعكس اهتماماته الخاصة. والمراقبة الرقمية كانت أيضاً هي إحدى الطرق للحد من قدرة المواطن على التفكير وممارسة حياته اليومية، ولا تترك مجالاً للخيال. بمعنى تضيق نطاق التفكير، لدرجة اعتبار حتى الفكر جريمة في حد ذاته، لأنه لن تكون هناك كلمات للتعبير عنه، بمعنى كل عام كلمات أقل وأقل، ونطاق الوعي يكون دائماً ضيقاً أكثر، والحد حتى من عواطف الناس وأفكارهم، والفكرة هي أنه بدون كلمة للتعبير عن مشاعر أو آراء معينة، فإن هذه المشاعر والآراء ستنتهي من الوجود أيضاً.

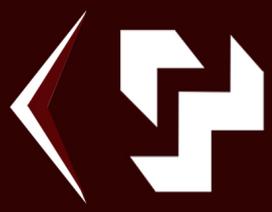


رابعاً: مخاوف استدامة المراقبة الرقمية وسبل مقاومتها والحد منها

شهدت جائحة Covid-19 بداية حقبة جديدة من المراقبة الرقمية وإعادة صياغة حساسيات العالم بشأن خصوصية البيانات. كانت تفرض الحكومات أدوات مراقبة رقمية جديدة لتتبع الأفراد ومراقبتهم. رحب العديد من المواطنين بتكنولوجيا التتبع التي تهدف إلى تعزيز الدفاعات ضد الفيروس التاجي الجديد. ومع ذلك، فإن بعض المدافعين عن الخصوصية كانوا يشعرون بالقلق، من أن الحكومات قد لا تميل إلى فك هذه الممارسات بعد انتهاء حالة الطوارئ الصحية. إن الخوف الرئيسي يكمن بالأساس في أن تستمر هذه المراقبة الرقمية للمواطنين إلى شكل دائم، أي الخوف من عدم العودة إلى الوضع العادي، وهذه العملية ستقود حتماً إلى جعل الكثير من إجراءات المراقبة الرقمية تستمر إلى ما بعد السياق (أزمة فيروس كورونا) الذي برر تأسيسها، فالسلطة لن تتخلى بسهولة عن مورد مثير وقيم يمكنها من الحصول على مختلف المعلومات والبيانات الشخصية التي ستوظفها في ممارسة نوع من الضبط الاجتماعي، فهي لن تتوانى في بذل أي مجهود يجعل المواطنين يقبلون هذا الشكل من المراقبة التي اعتادوا عليها ووجدوها مطمئنة، خاصة وأن هذه المراقبة الرقمية تم تقديمها بفعل الضرورة لحماية الصحة العامة. وأيضاً بفعل نداء الخوف الذي يعتبر مورداً صالحاً وضرورياً في بعض الأحيان للحصول على الاهتمام ودرجة أكبر من الانضباط والطاعة الاجتماعية.

ففي أذهان الناس، كان الفيروس التاجي يمثل تهديداً جهنمياً يمكن أن يصل إلى كل شخص حتى في منزله. لا الجيش ولا الشرطة يمكن أن تحميه ضد الفيروس التاجي. هذه المخاوف كانت تغذيها وسائل الإعلام التي تغطي الأحداث في مختلف البلدان التي تعرضت للهجوم من الوباء في نوع من "الإحساس بالصدمة". وهكذا، فإن وسائل الإعلام، التي حولت الوباء إلى خطر داهم وماحق، شكلت واقعاً جديداً في أذهان الناس، يصبح العنصر الرئيسي فيه ذهائناً غير واعي أو متصاعداً بشكل خاص. هذا الذهان، الناجم عن الخوف المتصاعد بمهارة من الفيروس التاجي، لا يقل خطورة عن الوباء نفسه: كان يفقد الأشخاص المصابين بالذهان قدرتهم على تقييم الواقع المحيط بشكل نقدي ويبدوون في الاندفاع بحثاً عن الخلاص من فيروس "قادم إليهم"، ليصبحوا قابلين لأي تدابير وإجراءات حتى وإن كانت تعسفية، إذ كان يمكنك أن تفعل أي شيء مع هؤلاء الناس، وتبرر أي عمل بـ "مكافحة الوباء"، ولن يقاوموا، أو يقومون بأي رد فعل سلبي تجاه هذه الرقابة الرقمية.

كانت أزمة الفيروس التاجي يمكن أن تصبح لحظة فاصلة مماثلة لهجمات 11 سبتمبر 2001 الإرهابية، التي أفضت إلى سلطات مراقبة حكومية جديدة حول العالم باسم حماية السلامة العامة. قال جيم هاربر Jim Harper، وهو عضو أصلي في اللجنة الاستشارية لخصوصية البيانات والنزاهة التابعة لوزارة الأمن الداخلي الأمريكية، إنه بمجرد إنشاء سلطات المراقبة هذه، نادراً ما تنحسر ويمكن إعادة توظيفها كأداة سياسية. خاصة



وأن جهود المراقبة هذه المرة لديها حليف جديد: خبراء الصحة العامة، ويقولون إن شكلاً من أشكال التتبع الرقمي سيكون ضرورياً في الأشهر المقبلة، حتى مع عودة الأشخاص إلى حياتهم الطبيعية بعد نهاية حالة إغلاق المدينة، حيث سيستمر الوضع في ظل غياب العلاج<sup>20</sup>.

لاشك أنه كانت هناك إرادة جماعية في مختلف دول العالم تذهب في اتجاه المساهمة في السيطرة على الوباء بطبيعة الحال، ولكن ليس بأي ثمن كما نهت إلى ذلك خبيرة الأمن السيبراني سولانج جراونت Solang Gronte، إذ يكمن خطر استغلال السلطة للأزمة وألوية الناس للصحة إلى اعتماد أنظمة للمراقبة قد لا يتم إلغائها بعد ذلك، لإنشاء نموذج «دولة الأخ الأكبر» المستوحى من رواية 1984 لجورج أورويل وهي الاستعارة المفضلة للتعبير عن المراقبة الشاملة للمجتمع، حيث يخضع فيها كل شيء تقريباً للرقابة والمتابعة أكثر من أي وقت مضى، تماماً على طريقة الاستبداد الصيني. ففي ظل تثبيت هذه المراقبة سيكون المواطن في مواجهة الكثير من التهديدات التي يمكن أن تنتهك بدرجة أولى حماية خصوصيته وبياناته الشخصية، وتمس حريته في التعبير، وقد يكون الهدف طبعاً هو تقييد قدرة المواطنين على التعبير عن آرائهم المعارضة مقابل خلق إجماع حول مختلف نظم الحكم، خصوصاً وان تقنيات هذه المراقبة ستمكن الحكومة من استخدامها لرصد المواطنين من خلال تتبع حركاتهم وعاداتهم وأفكارهم بطريقة مكثفة وغير مقيدة، مما سيساهم إلى حد كبير في ممارسة نوع من الرقابة الذاتية أيضاً.<sup>21</sup>

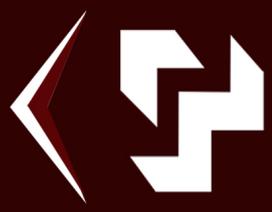
إن مجرد شعور الأفراد بأنهم تحت المراقبة المستمرة، يفرض عليهم نوعاً من الانضباط والامتثال الذاتيين، يؤكد ايفجيني موروزوف Evgeny Morozov، باحث التكنولوجيا، هذا الخوف أيضاً حيث يعتقد موروزوف أن الوعي بالمراقبة، ولكن دون معرفة كيف ومتى، يمكن أن تجعل العديد من النشطاء يفرضون الرقابة على أنفسهم أو يمتنعون عن التعبيرات السلوكية غير المرغوب فيها من طرف السلطة، هذا الوصف للوجود المحتمل لقوة أعلى تراقبك، وعواقب ذلك يجسد جوهر المنظور الأوروبي "الأخ الأكبر يراقبك"، ويعمل على استدامته<sup>22</sup>.

وأمام تنامي المراقبة الرقمية كانت هناك دعوات كثيرة لمقاومتها وتفكيك منظومة وبنائات مجتمع البانوبتيكون ومنطق الأخ الأكبر يراقبك، إذ تجسدت من خلال المطالبة بخلق ديناميات مقاومة دولية وعلى المستوى الداخلي

<sup>20</sup> - Liza Lin in Singapore ;Timothy W. Martin ;op.cit.

<sup>21</sup> Shoushana zuboff; The Surveillance Threat Is Not What Orwell Imagined; JUNE 6, 2019;AT:- <https://time.com/5602363/george-orwell-1984-anniversary-surveillance-capitalism/>.

<sup>22</sup>- Evgeny Morozov;The tech 'solutions' for coronavirus take the surveillance state to the next level;the guardian;at: <https://www.theguardian.com/commentisfree/2020/apr/15/tech-coronavirus-surveillance-state-digital-disrupt>



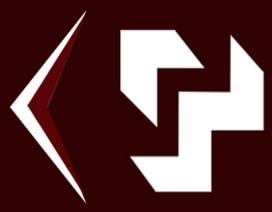
لكل دولة أيضا، ذلك إن احتجاجات عامة منسقة عالميًا ضد المراقبة الحكومية بقيادة المواطنين المعنيين، والناشطين، ومنظمات المجتمع المدني تعتبر بالغة الأهمية في التأثير على مكثات المراقبة الرقمية. إن مجرد مساواة المقاومة بالاحتجاج العام يعني ببساطة أن نفهم بشدة ماهية المقاومة، ومن يشارك فيها وكيفية القيام بها، ويمكن للمقاومة أن تتخذ أشكالاً عديدة، مع استغلال خصائصها المحورية وهي: طبيعتها التفاعلية، الدور المركزي للقوة، وكيف يتم بناء مفهوم المقاومة اجتماعياً، وتحديد الطبيعة المعقدة للمقاومة.

مثلاً أصبحت المراقبة جزءاً طبيعياً من الحياة اليومية، فإن مقاومة المراقبة "عادية" بنفس القدر وعلى الرغم من أن هذه المراقبة الرقمية محاولة للسيطرة المطلقة من طرف الحكومات على المجتمع، فإن وعي المواطن بالمراقبة الموجودة في كل مكان يولد مقاومة لها ولأهدافها غير الطبيعية، ذلك أن علاقات القوة هذه هي متحركة وقابلة للعكس وغير مستقرة بحسب "التحليل الفوكوي"، وكما توضح "جدلية السيطرة" لجيدنز Giddens هذا المفهوم المتداخل للسلطة، مع التأكيد على أدوار كل من الجهات المسيطرة والجهات المعرضة للتطبيع مع السيطرة. بالنسبة لـ Giddens، تقدم جميع أشكال التبعية بعض الموارد التي يمكن أن يؤثر بها المرؤوسون على أنشطة رؤسائهم، على الرغم من نقد Giddens من قبل Bogard، الذي يجادل بأن المقاومة لا تتغلب على المراقبة بل تقوي ديناميكيات قوتها<sup>23</sup>.

وهنا نشير إلى تشكل جهة عالمية مضادة للمراقبة الرقمية في زمن جائحة كورونا، إذ حتى محكمة العدل الدولية كانت قد انضمت إلى أكثر من 100 منظمة أخرى لحث الدول على ضمان أن أي استخدام للتكنولوجيا الرقمية لتتبع ومراقبة الأفراد والسكان كجزء من تدابير معالجة وباء COVID 19 يجب أن يتوافق تمامًا مع حقوق الإنسان. وحذرت المنظمات من أن الجهود المبذولة لاحتواء الفيروس يجب ألا تستخدم كغطاء لفرض أنظمة موسعة إلى حد كبير للمراقبة الرقمية الشاملة التي يحتمل أن يتم إساءة استخدامها، ما لم يتم وضع ضمانات كافية لحماية حرية التعبير والحق في الخصوصية...إلخ.

ورغم أن التكنولوجيا يمكن أن تؤدي دورًا مهمًا في خضم الأزمة الحالية لحماية الحقوق في الصحة والحياة والأمن، إلا نشر سلطات المراقبة الرقمية الحكومية بدون موافقة يمكن أن يؤدي إلى انتهاك حقوق الخصوصية، وحرية التعبير، والمعلومات، وتكوين الجمعيات إذا تم تنفيذها بشكل تعسفي أو تمييزي، ودون رقابة كافية، فإن هذه التدابير قد تخاطر بثقة الجمهور في سلطات الدولة وتقوض فعالية أي استجابة للصحة العامة. وقد تؤدي

<sup>23</sup> -Aaron K. Martin ;Rosamunde Van Brakel ;Daniel J. Bernhard ;op.cit.



تدابير المراقبة الرقمية غير التوافقية إلى تفاقم التمييز ضد المجتمعات المهمشة بالفعل بشكل غير متناسب. ودعت المنظمات كافة الحكومات إلى التأكد من أن إجراءات المراقبة الرقمية المتزايدة تفي بالشروط التالية<sup>24</sup>:

يجب أن تكون تدابير المراقبة المعتمدة لمواجهة الوباء مشروعة وضرورية ومتناسبة. يجب أن تكون الحكومات شفافة بشأن التدابير التي تتخذها حتى يمكن التدقيق فيها، وعند الاقتضاء، تعديلها لاحقاً أو سحبها أو إلغاؤها. وأن يكون توسيع تدابير المراقبة أو المراقبة محددًا بالوقت، وأن يستمر فقط طالما كان ذلك ضرورياً للتصدي للوباء الحالي. وأن تضمن الدول أن زيادة جمع البيانات الشخصية والاحتفاظ بها وتجميعها، بما في ذلك البيانات الصحية، تُستخدم فقط لأغراض الاستجابة لوباء COVID-19، ويجب ألا تستخدم لأغراض تجارية أو لأي أغراض أخرى. وأن تبذل الحكومات قصارى جهدها لحماية بيانات الأشخاص، بما في ذلك ضمان الأمان الكافي لأي بيانات شخصية يتم جمعها وأي أجهزة أو تطبيقات أو شبكات أو خدمات مرتبطة بجمع البيانات ونقلها ومعالجتها وتخزينها. وأن لا تكون هذه الأدوات مصدراً لإحداث التمييز وانتهاك الحقوق الأخرى ضد الأقليات العرقية، والأشخاص الذين يعيشون في فقر، وغيرهم من السكان المهمشين. وأن يستند تبادل هذه البيانات مع مؤسسات أخرى إلى القانون والشفافية المطلوبة، ولا ينبغي أن تقع جهود المراقبة المتزايدة المتعلقة بـ COVID-19 ضمن نطاق وكالات الأمن أو المخابرات ويجب أن تخضع للرقابة الفعالة من قبل الهيئات المستقلة المناسبة. يجب منح الأفراد الفرصة لمعرفة وتحدي أي تدابير تتعلق بـ COVID-19 لجمع البيانات وتجميعها والاحتفاظ بها واستخدامها.

وقد حددت "هيومن رايتس ووتش" أيضاً ثمانية شروط يتعين على الحكومات التي تستخدم تكنولوجيا المراقبة الالتزام بها للحد من COVID-19 وحماية حقوق الإنسان. وتشمل على محدودية الغرض من هذه المراقبة، ودعم حقوق الإنسان ضد المراقبة المعقدة المسيئة، والشفافية بشأن أي اتفاقيات لتبادل البيانات والتخفيف من أي خطر ينتج عنه تمكين التمييز أو انتهاكات الحقوق الأخرى ضد السكان المهمشين. قد يؤدي عدم القيام بذلك إلى تآكل الثقة بين السلطات والجمهور وقد يؤدي إلى عرقلة الجهود المبذولة لمكافحة COVID-19 حول العالم<sup>25</sup>.

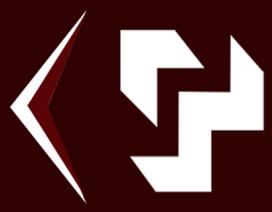
ومحصلة القول هو أن جائحة COVID-19 تسببت في معاناة شديدة، إذ كان يجب تحديد المصابين بالفيروس من خلال الاختبار حتى يمكن علاجهم، من أجل حماية الآخرين من العدوى، حيث كان يمكن أن تساعد

<sup>24</sup> - Advocates for Justice and Human Rights ; COVID-19: Use of digital surveillance technologies must be human rights compliant; april 2/2020 ;at: <https://www.icj.org/covid-19-use-of-digital-surveillance-technologies-must-be-human-rights-compliant/>

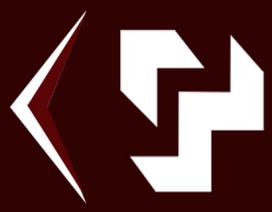
<sup>25</sup> - Tasnim Nazeer; Digital Surveillance and 'Technological Totalitarianism'; 7 april 2020 ;at: <https://bylinetimes.com/2020/04/07/the-coronavirus-crisis-digital-surveillance-and-technological-totalitarianism/>

# المراقبة الرقمية في زمن جائحة كورونا بين "مجتمع

## البانوبتيك" ومنطق "الأخ الأكبر يراقبك"



تدابير المراقبة المعقولة والمصنوعة بعناية كجزء من إستراتيجية استجابة الحكومات على وقف انتشار-COVID 19 مع حماية حقوق الإنسان في الوقت نفسه. ومع ذلك، تطلب ذلك من الحكومات ومواطنيها العمل معًا لضمان توافق إجراءات الطوارئ مع القانون الدولي لحقوق الإنسان. بدون تدابير مراقبة معقولة ومُصاغة بعناية، كان هناك خطر دائم من أن يتم استخدام تدابير المراقبة الرقمية هذه لأغراض أخرى سياسية لتصفية المعارضين أو احتوائهم، وممارسة السلطوية الرقمية في أبعى صورها.

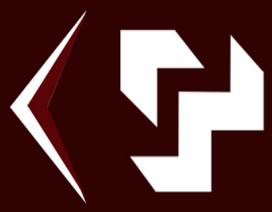


### خاتمة:

إن الحلول التي كانت معروضة بموجب المراقبة الرقمية المعممة لتتبع جهات الاتصال والحجر الصحي وأذونات الحركة كانت من غير المرجح أن تكون فعالة وشكلت بالمقابل عددًا من العواقب المقلقة، حيث لن تفوق الفوائد المفترضة التكاليف السلبية المحتملة. وعليه إذا تم تجاهل هذه المخاوف ونشر التقنيات. كانت تحتاج إلى أن تكون مصحوبة باختبارات وشهادات شاملة ومؤكدة، وتتطلب استخدامًا دقيقًا وشفافًا للصحة العامة فقط، مع احترام مبدأ الخصوصية حسب التصميم، مع تحديد تاريخ انتهاء الصلاحية، والإشراف المناسب والإجراءات الواجبة.

إن الدول كانت مطالبة أن تبلغ الجمهور بأن نظام المراقبة الرقمية جد فعال في مواجهة فيروس كورونا، وسيقلل من تفشي الفيروس، بمعنى السعي وراء إثبات شرعية ومشروعية هذه المراقبة، مع منح هيئات المجتمع المدني والمواطنين و/أو البرلمان الحق في التأكد من عدم استخدام مختلف المعلومات و البيانات المحصل عليها في أهداف غير مشروعة، أو أهداف غير حماية الصحة العامة، مع ضرورة احترام حقوق الإنسان، وذلك من أجل كسب الدعم العام من المواطنين، ذلك أنه بمجرد أن يمتلك المجتمع نوع من الشك والارتياب ويكون غير مقتنع بأسباب استخدام الدولة لإجراءات المراقبة الرقمية الصارمة وإجراء التجسس النشط على المدنيين، تصبح قوة المقاومة أقوى، والتي يمكن أن تنتج أشكال احتجاجية كثيرة ضد هذه المراقبة مما ينتج عنه حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي. في نهاية المطاف، يتعين على الديمقراطيات أن تتوصل إلى التوازن بين المراقبة الرقمية وحماية الخصوصية، والذي يتوافق مع ثقافة الدولة السياسية، ولكن أيضًا مع حقوق الإنسان العالمية.

# المراقبة الرقمية في زمن جائحة كورونا بين "مجتمع البانوبتيك" ومنطق "الأخ الأكبر اقبك"

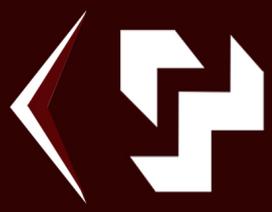


## لائحة المراجع

- Aaron K. Martin ;Rosamunde Van Brakel ;Daniel J. Bernhard ;Understanding resistance to digital surveillance. Towards a multi-disciplinary, multi-actor framework ;at : <file:///C:/Users/Minfo/Downloads/3282-Article%20Text-5592-2-10-20120130.pdf>.
- Rosamunde Van Brakel ;Understanding resistance to digital surveillance. Towards a multi-disciplinary, multi-actor framework ; · April 2009 ;at : [file:///C:/Users/Minfo/Downloads/3282-Article%20Text-5592-2-10-20120130%20\(1\).pdf](file:///C:/Users/Minfo/Downloads/3282-Article%20Text-5592-2-10-20120130%20(1).pdf)
- Daniel J. Power ;"Big Brother" can watch us ; Journal of Decision Systems, 2016 ;VOL. 25, NO. S1,at : <https://www.tandfonline.com/doi/pdf/10.1080/12460125.2016.118740>
- Rob Kitchin ;Using digital technologies to tackle the spread of the coronavirus: Panacea or folly? 21 April 2020 ;at : <http://progcity.maynoothuniversity.ie/wp-content/uploads/2020/04/Digital-tech-spread-of-coronavirus-Rob-Kitchin-PC-WP44.pdf>.
- Félix Tréguer ;Gestion techno-policière d'une crise sanitaire ; 06/05/2020 ;at : <https://www.sciencespo.fr/ceri/fr/content/gestion-techno-policiere-d-une-crise-sanitaire>
- Warwick ;Big Brother is already watching you – so let him help fight COVID-19 ; University of Reading ; 27 May 2020 ;at <https://techxplore.com/news/2020-05-big-brother-covid-.html>.
- Paul shrodt ;Edward Snowden just made an impassioned argument for why privacy is the most important right ;15 sep 2016 ;at : <https://www.businessinsider.com/edward-snowden-privacy-argument-2016-9>
- Marie Anneling ; "The Internet is Watching You" Why and How George Orwell's 1984 should be taught ;in the EFL Classroom ; Göteborg University ;Dept of Languages and Literatures/English ;at : [https://gupea.ub.gu.se/bitstream/2077/33674/1/gupea\\_2077\\_33674\\_1.pdf](https://gupea.ub.gu.se/bitstream/2077/33674/1/gupea_2077_33674_1.pdf)
- Cristina ICHIM ;is big brother watching you? at : <https://www.insurancespeaker-wavestone.com/2017/08/is-big-brother-watching-you/>.
- Robert McMahon ; Surveillance and Privacy in the Digital Age: A Primer for Public Relations ;(accessed on ) ;at : [https://scholarworks.arcadia.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1003&context=grad\\_etd](https://scholarworks.arcadia.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1003&context=grad_etd).

# المراقبة الرقمية في زمن جائحة كورونا بين "مجتمع

## "البانوبتيك" ومنطق "الأخ الأكبر اقبك"



- Shoshana Zuboff; The Surveillance Threat Is Not What Orwell Imagined ; JUNE 6, 2019 ; AT :

<https://time.com/5602363/george-orwell-1984-anniversary-surveillance-capitalism/>.

- [Evgeny Morozov](#) ; The tech 'solutions' for coronavirus take the surveillance state to the next level ; the guardian ; at : <https://www.theguardian.com/commentisfree/2020/apr/15/tech-coronavirus-surveillance-state-digital-disrupt>

- Advocates for Justice and Human Rights ; COVID-19: Use of digital surveillance technologies must be human rights compliant ; april 2/2020 ; at : <https://www.icj.org/covid-19-use-of-digital-surveillance-technologies-must-be-human-rights-compliant/>

- [Tasnim Nazeer](#) ; Digital Surveillance and 'Technological Totalitarianism' ; 7 april 2020 ; at : <https://bylinetimes.com/2020/04/07/the-coronavirus-crisis-digital-surveillance-and-technological-totalitarianism/>